

بسم الله الرحمن الرحيم

أسماء الله الحسنى - إصدار ١٩٩٦ - الدرس : ٥٨ - اسم الله الغفور .

١١-١٢-١٩٩٥

مع الدرس الثامن والخمسين من دروس أسماء الله الحسنى، والاسم اليوم هو الغفور، الغفور كما ورد في الحديث الصحيح من أسماء الله الحسنى، والغفور كما تعلمون أصله في اللغة من مادة غَفَرَ، وغفر بمعنى ستر، والغَفْرُ هو الستر.

أما معنى اسم الغفور فهو كثير المغفرة للذنوب، من مادة غفر، واسم الفاعل غافر، أما غفور فصيغة مبالغة لاسم الفاعل، يعني كثير المغفرة.

غفر فلان شيئاً أي ستره، والمغفرة التغطية على الذنوب والعمو عنها، وقد قال بعض العرب: أسألك الغفيرة والناقة الغزيرة، وعزة في العشيرة فإنها عليك يسيرة.. والغفيرة هي الستر.

والغفران من الله أن يصون العبد من أن يمسه العذاب، ومغفرة الله ستر بينك وبين العذاب، وقد يُقال: غفر له إذا تجاوز عنه في الظاهر ولم يتجاوز عنه في الباطن، فالسيئة مسجلة ولكن لم يعاقب عليها. والغفور والغفار والغافر ؛ من أسماء الله الحسنى.

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣)﴾

(سورة غافر)

فغافر من أسماء الله الحسنى، وكذلك الغفار والغفور.

فيا أيها الإخوة الكرام: إن هذا الاسم من أقرب أسماء الله الحسنى إليكم.. لأن العبد من شأنه أن يذنب، والله من شأنه أن يغفر، وما أمرك أن تستغفره إلا ليغفر لك، وما أمرك أن تستغفره إلا لأن لما يعلم ضعفك، وغفلك أحياناً، فالمغفرة علاج الضعف البشري أحياناً، أو الغفلة، ولولا أن الله تعالى غفور فما يحل بنا ؟ وما نفعل بذنوبنا، وكيف نواجه ربنا، لكن الله سبحانه وتعالى غفور أي يستر ذنبك عن الخلق ويعفو عنك ويحول بينك وبين العقاب.

و الآن هناك معان جديدة في الغفور.. فأنت لضعفك أحياناً تغفر إذ لا تستطيع أن تنال من فلان، فتسامحه، لكن شأن الله جل جلاله غير هذا الشأن، الغفور هو التام القدرة، يعني الله جل جلاله، قدير إلى درجة أن الخلق كلهم جميعاً كن فيكون، زل فيزول.. ومع تمام قدرته هو غفور.

وبالمناسبة، فهناك فضائل خلقية لا قيمة لها إلا إذا رافقتها القوة فالعفو مثلاً، من دون مقدرة لا قيمة له، لكن أن تملك عدوك ويصبح في قبضتك ويرى نفسه صغيراً، أو كأنه لا وجود له، فالآن تعفو عنه. والنبى عليه الصلاة والسلام حينما دخل مكة فاتحاً.. وهي التي أخرجته ونكلت بأصحابه وناصبته العداء عشرين عاماً، وعزته مرات عديدة، ولم تدع أسلوباً ينال من رسول الله وأصحابه إلا سلكته، وقريش الآن كلها في قبضته.. مائة ألف سيف متوهج ينتظرون حركة من شفتيه، حياتهم رهن إشارته، فقال لأهلها ما تظنون أنى فاعل بكم، قالوا أخ كريم وابن أخ كريم، قال:

((اذهبوا فأنتم الطلقاء))

و العفو من دون قدرة لا قيمة له، والحلم يحتاج إلى قدرة والأمانة لا قيمة لها إلا إذا لم تكن مداناً في الأرض، فإن كان معك مال لإنسان مات فجأة، ولم يعلم أحدٌ بهذا المال، فلست مداناً أمام الناس إطلاقاً، وليس في الأرض كلها جهة تحاسبك عليه، فأنتيت الورثة ونقدتهم المبلغ، فهذه هي الأمانة، إنها خلق ومن لوازمها أن لا تكون مداناً في الأرض، والعفو خلق من خصائصه أن تكون تام القدرة، والمغفرة كذلك، فالعفو والمغفرة والحلم ؛ ينبغي لك أن تكون تام القدرة حتى تكون لهذه الخصائص الخلقية قيمة في الميزان الأخلاقي.

الغفور كما قال العلماء هو السيد التام القدرة، وقد يغفر فضلاً وإحساناً منه قال تعالى:

﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)﴾

(سورة المائدة)

فالمنطق وسياق الآيات.. فإنك أنت الغفور الرحيم، بل جاءت الآيات:

﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

وإذا غفرت لهؤلاء فليس في الكون كله من يسأل الله لماذا غفرت لهم، و أنت أحياناً تلتمس العذر من إنسان قوي، فيقول لك أنا بإمكانى أن أعفو عنك ولكن أحاسب لم عفوت عنك، لكن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يغفر لعبد ذنباً فمن يحاسبه، ومن يسأله، ليس من شأن الإله أن يُسأل عما يفعل، قال تعالى:

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾

(سورة الأنبياء)

فذلك الغفور هو السيد التام القدرة، وقد يغفر فضلاً وإحساناً منه من دون قيد أو شرط.

وأرجو أن أوضح لكم هذه الحقيقة من دقيقة دقيقة في علم التوحيد.. فالله سبحانه وتعالى طليق الإرادة لا يقيد شيء، والإنسان مهما علا في الأرض فهناك قواعد تقيد سلوكه، و شأن الإله أنه لا يُسأل عما يفعل، إذا عفا وإذا غفر وإذا أعطى وإذا منع، لكنه طماننا، وقال:

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦)﴾

(سورة هود)

وقال:

((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهديكم، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، كلكم جانع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم))

فإنه عز وجل طليق الإرادة، لا يقيد تصرفاته شيء، ولذلك يعفو من دون قيد أو شرط، ويعطي ويمنع، ولكن الله سبحانه وتعالى، ألزم نفسه إلزاماً ذاتياً بالاستقامة، وقال:

﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

حرم على نفسه الظلم:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦)﴾

(سورة فصلت)

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١)﴾

(سورة الإسراء)

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ

نَقِيرًا (١٢٤)﴾

(سورة النساء)

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ

رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣)﴾

(سورة فاطر)

لا قطمير ولا فتيل ولا نقير.

فإنه عز وجل إذا ألزم نفسه بالعدل فالإلزام ذاتي، وإذا ألزمها بالعفو فالعفو ذاتي، أما أن يكون هناك قاعدة تقيد الله عز وجل.. فهو وحده الذي لا تُقيدُه قاعدة.

وقيل: إن الغفار هو الذي إن تكررت منك الإساءة وأقبلت عليه فهو غفارك وسترك، والإنسان أحياناً يغلط، فإذا بلغ هذا الغلط إنساناً فيفضحه بين الناس، لكن الله عز وجل غفور، ويظهر للناس أحسن ما عندك ويخفي عنهم القبيح، وهذا من كمال الله عز وجل فقد جمَّل الإنسان بهذا الجلد، فلو نظرت إلى جسم الإنسان عضلات فقط، فشيء مخيف، ففي وجهه مائة عضلة، وقد جمَّله بهذا الجلد، وهذه الثياب،

وبستر العيوب، والإنسان قد يخطئ و ينحرف، ويزل، لكن ربنا عز وجل يغفر ويستر ويبيدي للناس أحسن ما عندك.

وقد ورد اسم الغفور في القرآن الكريم في أماكن كثيرة، زادت عن تسعين آية تقريباً، قال تعالى:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥)﴾

(سورة البقرة)

ومعنى غفور كثير المغفرة، إذ يقع الإنسان بذنب فيغفر له، ومرة ثانية و ثالثة، وقد تقتضي الحكمة أن يفضحه، أو أن يعاقبه، لكن الغفور كثير المغفرة، ورد أن سيدنا عمر ضبط سارقاً فقال: والله يا أمير المؤمنين هذه أول مرة، فسيدنا عمر يعرف عن الله الشيء الكثير، قال: "كذبت إن الله لا يفضح من أول مرة، فظهرت أنها الثامنة..". ومن أخلاق الله عز وجل أنه حلِيم، فالإنسان إذا غلط، فحينما يألف الغلط و ينقلب إلى قاعدة، و يستشري، فعندئذ يؤدبه، أو يفضحه.

أقرأ اليوم بالجريدة، أن باخرة إفرنسية رست في ميناء إفريقي فتسلل إليها تسعة زنوج من البلدة التي رست فيها خفية، واختبئوا بين الآلات والباخرة في عرض البحر، فكشف ربان الباخرة، أن فيها تسعة رجال من هذه البلدة التي كان راسياً في مينائها، فانظروا إلى قسوة الإنسان، فربان الباخرة أصدر أمراً بقتلهم، فاستدرج واحد تلو الآخر وأطلق عليه النار وتولى بحاران إلقاءهم في البحر، فهذه الجريمة إذا وقعت على تسعة أشخاص وتم إعدامهم وإلقاؤهم في البحر فليس لها أثر إطلاقاً، لكن: التاسع استطاع أن يختبئ في مكان لم يعثروا عليه و بعد أن رست في ميناء آخر، استطاع أن يهرب إلى ذلك البلد واتصل بالشرطة وأخبرهم، بالأمر فجرت محاكمة في فرنسا وحكموا على الربان بالمؤبد وعلى البحارة بعشرين سنة، لكن هذا الذي نجا أنجاه الله عز وجل ليكشف الأمر ويعاقب هؤلاء المجرمين.

فإن الله عز وجل حينما يفضح يكون هناك إصرار على الذنب وعلاقة هذه القصة بهذا الدرس، إن الله عز وجل لا يفضح من أول مرة، فالإنسان عندما يألف الذنب ويثبت عليه، ويصر ويجعله سلوكاً ثابتاً، فعندئذ يفضحه ربنا سبحانه وتعالى، ويؤدبه ويعاقبه، و أخلاق ربنا عز وجل إذا غلط إنسان ولجأ إليه مستغفراً، فإن الله عز وجل يغفر ذنبه، وقد قال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

يغفر ثم يغفر ثم يغفر، أما إذا كان هناك إصرار، واستمرار على المعصية، وعدم مبالاة فإن الله يفضح. وفي آل عمران:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١)﴾

(سورة آل عمران)

هناك غفور حلیم وهنا غفور رحیم، أي رحمته بكم دعتة إلى مغفرة ذنوبكم، فلنلاحظ الأم وابنها، فمهما أخطأ في حقها فقلبا يتسع لأخطاء الولد كلها.

فالله عز وجل غفور حلیم، حلمه يستدعي أن يغفر لكم المرة تلو المرة، أما هنا فرحمته تقتضي أن يغفر لكم.

وفي سورة المائدة:

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٤)﴾

(سورة المائدة)

وهذه الآية إذا قرأها حقوقي فسوف يقشعر جلده، إذ بكل دساتير العالم مادة وهي أن القوانين لا يمكن أن تعمل بمفعول رجعي؛ فشيء لم يكن محرماً ولم يكن ممنوعاً، ثم صدر أمر بمنعه، أي يمكن أن نعاقب أناساً مارسوه قبل المنع، فهذا منتهى الظلم، أن تصدر قانوناً وتعمله بمفعول رجعي،

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

فإذا تابوا بعد أن قدرتم عليهم فتوبتهم كاذبة، لكنهم كانوا أحراراً وتابوا، ثم وقعوا في قبضتكم فليس لكم عليهم من سلطان.. وهذه الآية هي الوحيدة التي تشير إلى أنه لا يجوز أن تُطبق الأحكام بمفعول رجعي.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وفي المائدة أيضاً:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ سُؤُوكُمْ وَإِنْ سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١)﴾

(سورة المائدة)

هل لاحظتم الأسماء، فاسم الغفور يتناوب بين اسم الرحيم وبين اسم الحلیم، فربنا سبحانه وتعالى حلمه يستدعي أن يغفر لكم المرة تلو المرة ورحمته تقتضي أن يغفر لكم.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ

سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٤)﴾

(سورة الأنعام)

وهناك موضوع أرجو الله سبحانه وتعالى أن يمكنني من توضيحه في هذا الدرس بالذات، الذي يجذب النظر قوله تعالى:

﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)﴾

(سورة الحجر)

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ (٥٤)
وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ
نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ (٥٦)﴾

(سورة الزمر)

فما الحكمة إذ، كلما ذكر الله عظيم رحمته، ومغفرته وحلمه ذكر شديد عقابه، فماذا يعني؟ يعني ذلك أن الله غفور إذا عدت إليه، وغفور إذا استغفرته، وغفور إذا تبت من ذنبك، وأصلحت وأخلصت، فهذه الأسماء الحسنى، والصفات الفضلى في الله عز وجل لا يمكن أن تكون مبتدلة، وهذه الصفات غفور إذا أقبلت عليه وتبت ورجعت إليه، وأقلعت عن الذنب وندمت فهو غفور.

لذلك ورد أربع أو خمس آيات ثم إن ربك للذين تابوا وامنوا وعملوا الصالحات إن ربك من بعدها لغفور رحيم، إذا من السذاجة وضيق الأفق والجهل أن تُعلق آمالاً على مغفرة الله وأنت مقيم على معصية، فمن الغباء والحمق والجهل أن تقول الله غفور رحيم وأنت لا تفكر بالتوبة وإن لم تفكر بها فاقراً تنمة الآية:

﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾

(سورة الحجر)

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَأَمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣)﴾

(سورة الأعراف)

الآية واضحة:

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَأَمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

وفي الأنفال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُم
وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٠)﴾

(سورة الأنفال آية ٧٠)

وأريد أن أقف قليلاً عند هذا المعنى، أي كل إنسان إذا علم الله منه الندم والألم على ما ارتكب، فالله عز وجل غفور رحيم والاستغفار من أسباب سعة الرزق:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً (١٨)﴾

(سورة نوح)

فالاستغفار من أسباب سعة الرزق، إنجاب الأولاد، نزول الأمطار.

و يروى أن الحسن البصري دخل عليه رجل قال له: يا إمام إن زوجتي لا تنجب فقال له: استغفر الله، ثم جاء رجل آخر، فقال يا إمام السماء لا تمطر فقال: استغفر الله، ثم جاء ثالث فقال يا إمام: إن الله قنن علي بالرزق، فقال له: استغفر الله. وأحدهم جالس بقربه، فقال عجب لأمرك يا إمام أوكلما دخل عليك رجل تقول له: استغفر الله، قال: اسمع قوله تعالى:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾

أي إن عظمت ربكم حق التعظيم أمدكم بالأموال والبنين، والإنسان أحياناً يتألم لما يحل بالمسلمين في شتى بقاع الأرض من قلة المطر لكن لا ينبغي له أن يتألم ألماً شديداً، بل عليه أن يرجع، إلى أن هؤلاء لو أنهم استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غداً.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)﴾

(سورة الأعراف)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)﴾

(سورة محمد)

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)﴾

(سورة الحج)

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (١٤١)﴾

(سورة النساء)

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ
كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾

(سورة النور)

وما الذي يمنع إذا قرأنا القرآن أن نستنبط آيات الوعد الإلهي للمؤمنين والله عز وجل هل يُعقل ألا يفى بوعده، وإذا وعد الله المؤمن بالحياة الطيبة، فهل يُعقل أن تكون حياة المؤمن غير طيبة، وإذا وعد الكافر بالمعيشة الضنك فهل يُعقل أن يسعد الكافر بالمال والنساء والآية تقول:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)﴾

(سورة طه)

مستحيل.. ولذلك لما أوحى ربنا عز وجل إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين، أمرها بأمرين ونهاها عن شيئين وبشرها ببشارتين وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون، وحرمانا عليهم المراضع، فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فرددناه إلى أمه كي تفر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

دققوا في الآية:

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)﴾

(سورة القصص)

﴿ أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ﴾

فالله ماذا وعدنا، هذا موضوع لطيف جداً، ابحث في كتاب الله عن وعوده، ضعها في قائمة، ثم ابحث عن موجبات هذه الوعود، فالنبي كان يقول:

((اللهم إني أسألك موجبات رحمتك))

ابحث عن موجبات رحمة الله، إن إله خالق الكون، وأحياناً يخطف أشخاص طائفة، فتعدهم الدولة صاحبته فلا تنقض وعدا وهي دولة مادية علمانية أحياناً، فلا يمكن لخالق الكون، خالق السماوات والأرض إلا أن يفى بوعده.

وقد اكتشف العلماء قبل شهر تقريباً مجرة بعدها عن الأرض ثلاثمائة ألف بليون سنة ضوئية، فما هذا الرقم، يعجز خالق هذا الكون أن ينجز وعده لا.

وإذا قرأ الإنسان القرآن الكريم واستنبت آيات الوعد الإلهي، الذي وعدنا بالنصر، و بالحفظ، وبالتأييد، و بالتوفيق، ألا يجعل لكافر علينا سلطاناً ومن وعدنا بالاستخلاف والتمكين، والتطمين، فأين هذه الوعود إنها لحق كلها.

و أخشى ما أخشاه أن تنطبق علينا الآية الكريمة:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥٩)﴾

(سورة مريم)

وقد لقينا ذلك الغي، فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً، وإذا أردنا أن نعرف كيف يتبع الناس الشهوات فلنصعد إلى سطوح بيوتنا ولنتنظر ماذا على السطوح التي حولنا.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾

هان أمر الله عليهم فهانوا على الله، أما وإن الله غفور رحيم، ولكن بشرط أن تعود إليه، وأن تتوب إليه، وأن تؤوب، وأن تندم على ذنبك، وأن تقلع عنه، وهذه الآية أيها الإخوة لها في نفسي أثر كبير:

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥٣)﴾

(سورة الأعراف)

فهذه كلمة غفور رحيم إذ يقول المنحرف لا تدقق الله غفور رحيم فضع مخالفتك في رقبتي الله، وهذا كلام الجهل، فهو غفور رحيم إذا تبت ورجعت إليه.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)﴾

(سورة يونس)

دققوا في هذه الآية:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾

المس، أحياناً تريد أن تمتحن حرارة المكواة ماذا تفعل، تضع اللعاب على إصبعك، وتضع إصبعك بأضيق مساحة وبأقصر زمن باللعاب، هذا هو المس، فالعذاب يمس الإنسان مساً.

قال:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾

الخير مراد من الله، أما الضر غير مراد، فالضر علاج أما الخير فمراد.

﴿ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

و لما ذكر ربنا عز وجل اسمه الغفور في كتابه تسعين مرة من أجل أن تطمئن القلوب، قلوب العصاة وتسكن نفوس المجرمين أي بصراحة من لنا غير الله عز وجل، مهما فعلت من ذنوب فليس إلا الله، وفي النهاية نحن إليه، والدعاء الشريف:

((اللهم أنا بك وإليك))

أنا بك قائم بك وإليك..:

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦) ﴾

(سورة الغاشية)

((عبادي رجعوا وتركوك، وفي التراب دفنوك ولو بقوا معك ما نفعوك ولم يبق لك إلا أنا وأنا الحي

الذي لا يموت))

أعرف رجلاً من عشرين سنة طريح الفراش، وأقرب الناس إليه يتمنى أن يخفف الله عنه، وأعرف أناساً كثيرين، لا يشعرون بالألم ولا يشكون شيئاً، وبثانية واحدة كانوا من أهل القبور، فالمغادرة سريعة، أنا ولا أجد أعقل من إنسان يستعد لهذه الساعة، بعلاقاته وحساباته وماله وما عليه، ومن الحقوق والواجبات، والتوبة النصوح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبطلب العلم وتعليمه، والأمور كلها متاحة.

((لو أتيتني بملء السماوات والأرض خطايا غفرتها لك ولا أبالي))

والله أيها الإخوة سمعت عن فتيات عملن في الفن في قطر عربي مشهور، ورقصن وغنون وفعلن كل أنواع الموبقات، ثم بعضهن تاب إلى الله توبة نصوحاً، وأسدلن الحجاب على وجوههن، وقد قرأت عنهن كتباً يعبرن فيه عن مشاعر الإيمان بأسلوب يعجز عن وصفه الإنسان، هذه الراقصة التي أمضت كل حياتها في المعاصي وفي الموبقات وفي عرض صوتها الجميل ثم هي الآن تائبة منيئة محجبة فإله عز وجل لو لم يكن كذلك فمن لنا غيره، وليس الأمر أن أفعل الموبقات، لكن لا تبيس أبداً فإلياًس يعني الكفر:

﴿ يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَسَّسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الْكَافِرُونَ (٨٧) ﴾

(سورة يوسف)

والقنوط يعني الكفر، والله عز وجل فتح باب رحمته لكل مخلوقاته قال:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)﴾

(سورة الأعراف)

والآية الآتية لا تنسوها.

فهي أرجى آية في كتاب الله:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

فمهما كثرت الذنوب تعلّق باسم الغفور، ولا أريد أن يكون الذنب حجاباً بين المذنب وبين الله، ولا أقبل ذلك، لأن اليأس يعني الكفر. والله عز وجل قال:

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

إن لم تتب، فذو الطول.

الآية الثانية:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾

وهنا تفرقة لطيفة لغوية بين اسم الغفور وبين اسم الغفار، الغفور ينبئ عن نوع مبالغة ناشئة بالإضافة إلى مغفرة متكررة فهذا مرتكب ثلاثمائة ذنب فالله غفور، يغفرها له كلها، وآخر له ذنب كبير، فالله عز وجل غفار، فغفار للنوع وغفور للكلم.

وقد ذكرت لكم قصة قرأتها في قصص العرب، عن إنسان يطوف حول الكعبة، ويقول: ربي اغفر لي ذنبي ولا أظنك تفعل، ووراءه رجل مؤمن فقال له: يا هذا ما أشد بأسك من رحمة الله، قال له: ذنبي عظيم، قال ما ذنبك، قال: كنت في حملة مع أمير في قمع فتنة، فلما قمعت الفتنة أبيحت لنا المدينة، فدخلت أحد بيوتها، فرأيت فيها رجلاً وامرأة وولدين، فقتلت الرجل وقلت للمرأة أعطني كل ما تملكين فأعطتني دنانير ذهبية، فقتلت ولدها الأول، فلما رأنتني جاداً في قتل الولد الثاني أعطتني درعاً مذهبة، فلما أمسكتها أعجبتني، فإذا عليها بيتان من الشعر قرأتها فصعقت، كتب على هذا الدرع:

إذا جار الأمير وحاجباه وقاضي الأرض أسرف في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

والله كبير، فلذلك كلمة غفور.. مهما كثرت، وكلمة غفار مهما عظمت، فهي صيغة مبالغة، والمبالغة نوعان، مبالغة كم، ومبالغة نوع.

غافر الذنب، أي إذا كان عليها ذنب واحد وغفره لك فهو غافر، وإن كانت ثلاثمائة ذنب وغفرها لك فهو غفور، وإن كان ذنباً لا يُحتمل فهو غفار، هذا الفرق بين غافر وغفور وغفار.
و كما تعلمون دائماً تخلقوا بأخلاق الله، فحظ المتخلّق باسم الغفور أن يداوم الاستغفار، والورد الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((إني أستغفر الله في اليوم مائة مرة))

والأولى للإنسان أن يستغفر صباحاً ومساءً، صباحاً لما جرى في الليل، ومساءً لما جرى في النهار، لكن أخشى أن تفهموا أن الله غفور رحيم إذاً فالقضية سهلة، لا.. فهذه مغفرة وقائية، فاستغفر من أجل ألا تقع في الذنب وليس الأمر افعل ما تشاء واستغفر فهذا غير مقبول إطلاقاً، والإنسان حينما يفعل معصية ويعلم أنها معصية ينشأ حجاب بينه وبين الله، فالأمر صعب أن يستغفر.

وأن يغفر الأخ للعباد فيما يرتكبونه، فهناك شخص حقوق وشخص غفور، فإذا غلط الإنسان مع غفور يحس أن القضية سهلة، إذ يقول لك كأن لم تكن، أما مع حقوق فيقول لك أنا قلبي أسود لا أنسى. خطيئة جعلنا الله من الذين إذا أسيء إليهم غفروا.

و لا أعتقد إنساناً أساء كما أساء مسطح إلى سيدنا الصديق حينما اتهم ابنته السيدة عائشة زوجة رسول الله بالزنا، وكان الصديق يعطيه معونة فقطعها، فقال تعالى:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)﴾

(سورة النور)

يعني اغفر ليغفر الله لك، أعتقد أن هناك إساءة أبلغ من هذه الإساءة، أن يتحدث عن ابنتك الطاهرة أنها زانية، ومع ذلك أمره الله أن يعفو وأن يصفح وأن يعود إلى ما كان عليه من المعونة، بكى سيدنا الصديق وقال: بلى أحب أن يغفر الله لي.

المؤمن المتخلّق بهذا الاسم لا يرى عورة إلا سترها، ولا زلة إلا غفرها، وإن اعتذر إليه أخ قبل منه وعامله بالإحسان، ويقابل جميع إساءته بالغفران، لأن صاحب الخلق حينئذ يصير بين الناس كالشجرة الظليلة، تُرجم بالحجارة وتلقي عليهم الثمار، وهكذا المؤمن.

ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم:

((حَدَّثَنِي شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدِ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ
اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ
مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ وَمَنْ قَالَهَا
مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمَسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ
بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ))

(صحيح البخاري)

ورد بالأثر وبالاحاديث الصحيحة:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ إِلَى الصَّلَاةِ الَّتِي بَعْدَهَا
كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا قَالَ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَالشَّهْرُ إِلَى الشَّهْرِ يَعْنِي رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ كَفَّارَةٌ لِمَا
بَيْنَهُمَا))

(مسند الإمام أحمد)

والإنسان يوم الجمعة كأنه فتح مع الله صفحة جديدة بعد الصلاة فإذا غلط.. فكل صلاة تمحو ما قبلها،
ونحن من شأننا أن نستغفر وما لنا غير الاستغفار، واليأس من رحمة الله كفر، وكل إنسان يقول ذنبي
كبير فهو لا يعرف الله عز وجل، فعلينا أن نستغفر، والله ما أمرنا بالاستغفار إلا ليغفر لنا.
قال سيدنا الصديق للنبي: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال قل:

((اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، فأغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فأغفر لي مغفرة من عندك
وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم))

وقال الأصمعي: وقف أعرابي أمام الروضة الشريفة، فقال: اللهم هذا حبيبك، وأنا عبدك، والشيطان
عدوك، فإن غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك، وإن لم تغفر لي غضب حبيبك، ورضي
عدوك وهلك عبدك، وأنت أكرم من أن تغضب حبيبك، وترضي عدوك، وتهلك عبدك.

وقال يا رب إن العرب الكرام إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره وإن هذا سيد العالمين فأعتقني على
قبره.

وإذا كان للإنسان له مع الله مناجاة، فالصادق مع الله يغفر له، وإذا كان عند عزيمة أكيدة أن لا يرجع
إلى الذنب، فليس إلا الله عز وجل في الوجود، وهذا الاسم يمحي الماضي كله، بلمحة البصر ولا يدع
شيئاً.

والله عز وجل إذا غفر يستتر، فمع المغفرة ستر، ويظهر للناس أجمل ما عندك ويخفي عنهم السيئات،
والماضي لا ينقله الله للآخرين.

وهناك امرأة زنت وأقيم عليها الحد وتابت، وبعد حين جاءها خاطب، وأخوها أحب أن يكون ناصحاً، فاستشار سيدنا عمر، وقال: إن أختي خطبها فلان أفأذكر له ما كان منها، قال: والله لو ذكرت له ما كان **منها لقتلتك**، وهناك رواية لعلوتك بهذه الدرة.

وإذا شيء وقع وانتهى فالسكوت أولى.. فشخص غلط غلطة، فشاعت عنه وتمضي السنون إلى عشرين، وقد صار إنساناً فاضلاً، وكلما دُكر ذكروا غلطة وهذا لؤم بالإنسان، اعفُ عن الماضي. والنبي الكريم قال:

**((أمرني ربي بتسع أن يكون صمتي فكراً ونطقي ذكراً ونظري عبرةً، وأن أصل من قطعني وأعفو
عن من ظلمني وأعطي من حرمني))**